اسم المصدر: الوطن السعودية

التاريـــخ: 20-09-2009 رقم العـدد: 3278 رقم الصفحة: 21 مسلسـل: 122 رقم القصاصة: 1

نجل الجفري يكشف أسرار والده بعد عام على رحيله

لأول مرة كان حالما يتعامل مع المرأة بلطف وشفافية وداود الشريان سبب توقفه عن الكتابة

جدة: خالد المحاميد

مر العام سريعا، وهاهو يعود بدورته إلى اليوم نفسه الذي فقدنا فيه عبدالله جفري، كان ذلك في الأول من شوال ١٤٢٩ الموافق الأول من أكتوبر ٢٠٠٨.

يوم عيد، أول صباحاته المتجهمة كان النبأ الذي طارت به وسائل الإعلام (مات عبد الله جفري) كما لو أن هذه المصادفة لها دلالتها، التي أضافت إلى رومانسية الحياة التي اشتهر بها رومانسية الموت.

مات عبدالله جفري، وهاهو عام يمر على ذكرى وفاته، فيحتشد من نعود في كتاب جديد (وغاب فارس الرومانس) ربما حتى لا يمر الوقت من دون أن تعطر ذكراه يوم العيد، يوم وفاته.

بنى عبدالله الجفري ذاكرة وجدانية عامة، لكنه كان في مكان

وجدي الجفري خلال حديثه لـ"الوطن"

عبدالله الجفري يتسلم إحدى جوائزه

اسم المصدر: الوطن السعودية

التاريـــخ: 20-09-2009 رقم العـدد: 3278 رقم الصفحة: 21 مسلسـل: 122 رقم القصاصة: 2

ما ينسج حكايته التي امتدت ما يقارب السبعين عاماً، بدأ في مكة حيث التقى هناك أستاذه ومعلمه محمد حسين زيدان، ومنها انتقل إلى جدة بحثاً عن أفق جديد لثقافته المتفتحة الجديدة، حيث يقول ابنه وجدي عبدالله جفري لـ" الوطن": والدي جاء للإقامة في جدة بناء على رغبة أستاذه الزيدان، وبدأ حياته الأدبية انطلاقاً من صحيفة البلاد.

حقيقة لا يعرفها أحد

قال وجدي الجفري إن بعض الأصدقاء كانوا ممن يسيء إلى والده ولكنه كان يتجاهل ذلك، واستشهد بخلافه مع داود الشريان، ذاكرا: رغم أن القضية انتهت، إلا أن والدي لم يشعر بأن الأمور عادت إلى طبيعتها، لأنه كان يعرف أن داود الشريان كان خلف أسباب توقفه عن الكتابة في الحياة، وبالمثل الشعبي كان داود الشريان "يحفر لوالدي من تحت لتحت" وهذا هو السبب الحقيقي للخلاف. لا أعرف مهنة غير الكتابة، تلك عبارته الدائمة كما يقول نجله، كان يكتب في عدد كبير من المطبوعات المحلية والخليجية والعربية، ولا بد أن هذا انعكس على وضعه المادي، حيث كان نادراً ما تقرأ مجلة عربية أو خليجية إلا وتجد اسم عبدالله الجفري فيها، لكن ابنه يضحك من هذه المقولة، ويقول نعم هناك من يعتقد أن والدي وفر الملايين من كتاباته، لكني أقول لك الحقيقة التي لا يعرفها أحد وهي أنه بالكاد كان دخله يكفي لمعيشتنا، فقد كان يتقاضى في سنواته الأخيرة مكافأة على زاويته اليومية في عكاظ مبلغ ٢٢ ألف ريال، وهذا هو كل دخله طوال سنوات عديدة، إضافة إلى أنه رحمه الله كان مسرفاً، ويؤمن بمقولة "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب" ولولا حكمة والدتي وتدبيرها لما أمكننا حتى بناء منزل، وفي الحقيقة أن والدي لم يكن يتقاضى عن كتاباته في الصحف والمجلات العربية أية أجور.

أصدقاء العزلة، وأصدقاء المصلحة

كان عبدالله جفري يستهل يومه في الثامنة صباحاً بقراءة الصحف السعودية، ثم يبدأ الكتابة عادة عند الظهر، ويستمر حتى العصر، حيث يتناول الغداء والاستراحة ربما لمدة نصف ساعة، وغالباً ـ حسب ما يقول نجله وجدي ـ ما يذهب لشراء الصحف والمجلات العربية التي لا تصله، ويعود بعد قراءتها للكتابة إلى ما بعد المغرب، ثم يتفرغ لقراءة الرسائل والرد عليها، وكنت بمثابة سكرتير شخصي له، فهو لا يتعامل مع الكمبيوتر، كنت أفتح بريده، وأطبع له الرسائل التي تحتاج إلى رد، فيكتب عليها بخط يده. وكان لديه دائرة واسعة من الأصدقاء، فهو إضافة لكونه كاتباً مشهوراً، كان أيضا شخصية ودودة ومحبوبة، لكن لابد من أن هناك دائرة أضيق من الأصدقاء أو المقربين، محمد إسماعيل جوهرجي، الدكتور فؤاد عزب، نجيب يماني، طلال محمدي، هؤلاء كانوا مجموعة الأصدقاء المقربين الذين لا ينقطعون عنه، وهناك أصدقاء يزورونه باستمرار حين تتوفر لهم الفرصة مثل وزير الثقافة والإعلام الدكتور عبدالعزيز خوجة الذي كان يزوره كلما حضر إلى جدة.يقول وجدي: كان والدي من محبي سمير سرحان وفاروق جويدة، والبردوني وسليمان العيسى وعبدالعزيز المقالح وطبعا نزار قباني الذي ألف فيه كتاباً، وهناك مجموعة أخرى من أصدقائه الذي ليسوا على لائحة اهتمامه.

وجدي: عرضت علينا المخرجة رولا إنتاج فيلم وثائقي عن حياته لكن هذا يحتاج إلى تمويل و هناك اقتراح بإطلاق اسمه على أحد الشوارع لكنني لا أنوي ذلك

الجفري عاشقاً مئات المعجبات كن يكاتبن عبدالله جفري، وكان بالنسبة لكثيرات يمثل الفارس الرومانسي المفقود في زمن صارت الرومانسية فيه تهمة سيئة، لكن هل فعلاً كان الجفري رومانسيا في حياته الواقعية، وهل مر في تجارب حب وهو متزوج.

الوحيد القادر على الإجابة على هذا السؤال هو (أنا) يقول وجدي جفري فقد كنت كاتم أسرار والدي، صديقه، والمطلع على كل كبيرة وصغيرة في حياته، نعم والدي مر بتجارب وصلت إلى حد العشق، وسجل بعض هذه التجربة في إحدى رواياته، أما كونه رومانسيا فهذه حقيقة واقعية، فقد كان رجلاً حالما، ويتعامل مع المرأة بلطف وشفافية، ومن ذلك أنه ترك لشقيقاتي حرية اختيار أزواجهن ودراستهن ولم يتدخل، وكان يميل لنصرتهن أكثر من الأولاد. أما أمي فقد عانت كثيراً بسبب ذلك ولا أكتمك سراً لقد كانت والدتي حكيمة ومتزنة حافظت على الأسرة بصبر، وكانت بعض علاقات والدي تثيرها وبعض المعجبات يستفززنها، ومثلها مثل أي امرأة كانت تغار على زوجها، ويسبب لها الكثير من الألم لكنه نفسه كان يعرف أنها صبورة وحكيمة ومدبرة، وهي تعرف رغم كل آلامها أنه كان حنوناً وعطوفا، وربما يأتي الوقت الذي يكتشف فيه النقاد أن رومانسية عبد الله جفري وتعلقه بالمرأة، كان أحد أهم أسبابه أنه عاش يتيم الأم، وكان يتمنى من قلبه لو أن هناك صورة لوالدته، لقد عاش ولم يرها، وكان دائم السؤال لكل من عرفها أن يصفها له، هذا الحرمان ربما هو سبب رومانسيته.

ماذا ترك عبد الله الجفري مادياً ومعنوياً؟

باعتراف الكثيرين ممن رفضوا ذكر أسمائهم، أن عبد الله جفري كان يعاني من مشاكل مادية، ويضيف نجله، كانت حياة مستورة، ودخله بالكاد يكفينا، معنوياً ترك لنا الكثير فنحن نفخر به وبإنجازاته، وهو ترك اسماً

غلاف الكتاب الذي جمع كتابات عنه بعد وفاته

كبيرا في عالم الأدب، أما مادياً فترك لنا هذا البيت، وقطعة أرض صغيرة خارج جدة، وبضعة آلاف سنوياً تأتي من وقف في مكة المكرمة، وهو لم يشك يوماً لأحد، كان يحمل آلامه بصمت، خاصة فيما يتعلق بالتنكر له، وكان يشعر بأنه لم يكرم في وطنه كما ينبغي لمثله،كان يقول لي ذلك، لكنه يأنف من المطالبة بشيء، وقد نال شيئا من التكريم،لكنه كان في المكانة التي هو عليها يأمل أن يكرم مثلما يكرم الأدباء العرب في بلدانهم، مع ذلك فقد كرمه الأمير خالد الفيصل في مهرجان أبها حيث منح جائزة المفتاحة، وجائزة المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين و جائزة تقديرية وشهادة من جمعية لسان العرب، جائزة وشهادة تقدير من صحيفة الرياض، جائزة علي ومصطفى أمين، الزمالة الفخرية من رابطة الأدب الحديث، جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهي الجائزة التي ظل يفتخر فيها لكونها أهم الجوائز من خارج المملكة، وعن أهم المشاريع المستقبلية التي تخص الكاتب الراحل قال وجدي الجفري: ترك رحمه الله ٢٠ مخطوطاً بين رواية وقصة ونثر، سنقوم بطباعتها تباعاً على مدى سنوات، وعرضت علينا المخرجة الشابة رولا غازي عبد المجيد إنتاج فيلم وثائقي عن حياته، لكن كل هذا يحتاج إلى تمويل، وأنا جاد في البحث عن مصادر تمويل لتحقيق هذا الهدف.أيضا اقترح البعض أن نطالب بإطلاق اسم عبدالله الجفري على أحد الشوارع، لكنني لا أنوي ذلك لأنهم إذا كانوا سيختارون شارعاً فرعياً مثلما فعلوا مع محمد حسين زيدان فلا حاجة لنا بذلك . تجاوزاً لكل ذلك فإن أكبر عزاء لنا في والدي هو تشريفنا من خادم الحرمين الشريفين بمكالمة هاتفية عزانا بها في وفاته، إضافة إلى حضور الأمراء للتعزية بوفاته، وكان هذا أكبر تقدير يناله عبد الله جفري.

المكتبة التي شهدت إنتاجه عمرها أربع سنوات

في المنزل الذي ودع فيه عبدالله جفري آخر لحظات حياته، في حي (الصفا) بجدة، تقع مكتبته التي بقيت على حالها منذ أن غادرها جسده وبقيت روحه حاضرة فيها، باعتبارها جزءاً من حياة الكاتب الكبير نفسه، وهذه الحياة المستمرة من خلال كتبه، ومن خلال لمساته التي أضفاها على المكتبة، إضاءة خافتة في الأطراف، مع تركيز على منصة الكتابة، في حين تتوزع على الجوانب فوق طاولات صغيرة أعدت لهذا الغرض "أباجورات" بإضاءة خافتة، يتصدرها لوحة تكريم اثنينية عبدالمقصود خوجه، وتتوزع على جدرانها بعض الصور الخاصة، منها صورة حميمية مع الأمير ماجد بن عبد العزيز ، ثم صور لعدد من أفراد الأسرة، وأمام طاولة المكتب تربض مقاعد جلدية خضراء تتوسطها طاولة بنفس اللون تتناثر عليها أدوات صغيرة وأباريق قهوة وماء وأوان للحلويات.

ومن الواضح أن المكان لا تنقصه الأناقة، وهو الشيء الذي أشار إليه وجدي عبدالله جفري (كان نظيفاً وأنيقا إلى حد كبير، ويرفض حتى الاستمرار في الكتابة على ورقة فيها كلمات مشطوبة.

في هذا المبنى نفسه الذي احتوى المكتبة كتب عبدالله جفري معظم إنتاجه الأدبي، وهو مبنى جديد نسبيا عمره فقط أربع سنوات، أقامه على أنقاض فيلا قديمة كان يملكها، فقبل وفاته فكر بأن يمنح أولاده شيئاً يوفر لهم سكناً بقربه، حيث بنى لكل من أولاده الثلاثة (وجدي، نضال، إياد) شقة خاصة به، وهذا يعود حسب ما يقول وجدي الجفري إلى أن (والدي كان يحب مجالسة الأسرة أكثر من الخروج مع أصدقائه).

أنجب عبدالله جفري ستة أبناء ثلاثة ذكور هم وجدي، نضال، إياد، وثلاثة بنات هن زين أكبر أبنائه، وعبير، والعنود، وتزوج لمرة واحدة من سيدة من آل الحبشي أهلها من المدينة المنورة هي أم أبنائه جميعهم.

المكتبة حيث كان عبدالله جفري يقضي أغلب وقته (الوطن)